

مقتطفات من كتاب: " الطب النفسي والغرائز (1) " الباب الثاني: " غريزة العدوان " الملحق (2) " ليالى ألف ليلة " ل نجيب محفوظ: القتل بين مقامى العبادة والدم (7)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2022/11/05

السنة الخامسة عشرة - العدد: 5544

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقتطفات من كتاب: " الطب النفسي والغرائز (1) " [1])
الباب الثاني: " غريزة العدوان " من التفكيك إلى الإبداع [2]



فى هذه الحكاية، تتمثل
الدنيا فى فتنة لا يقاومها
عاقل فتتجسد فى صورة
أنيس الجليس، التى تنجح
فى إغواء كل من يقترب
منها دون إستثناء

الدنيا فى داخلنا ابتداء:
هى التى تسبى عقولنا
وتستدرجنا إلى الملاك
الظاهر،

الملحق (2) .. (عبر النقد الأدبي):
"ليالى ألف ليلة" لـ "نجيب محفوظ" [3]
القتل بين مقامى العبادة والدم (7) [4]

6- أنيس الجليس

سحر الدنيا... وعفة الجنون

فى هذه الحكاية، تتمثل الدنيا فى فتنة لا يقاومها عاقل فتتجسد فى صورة أنيس الجليس، التى تنجح فى إغواء كل من يقترب منها دون إستثناء، والدنيا فى داخلنا ابتداء: هى التى تسبى عقولنا وتستدرجنا إلى الهلاك الظاهر، وفى مقابلة بين زرباحة وسخريوط من ناحية وبين سنجام فى حضور فمقام -من ناحية أخرى، ينشأ ما يشبه التحدى بين الدنيا و الهدى: بشكل يدفع زرباحة- بتدبير وموافقة سخريوط- إلى الإقدام على هذه المغامرة، فيقع فى حب الدنيا كل الناس، من أول عم ابراهيم السقا حتى شهريار نفسه مارين بيوسف الطاهر وحسام الفقى، ثم بعد أن يقتل الأخير الأول بسببها (جريمة قتل جديدة) يخيل للقارئ أن السحر سيهدأ لكنه يطغى ويستمر ليقوع بيومى الأرملة الذى ما فتىء يأسف على صديقه القديم حسام الفقى وهو يحاكم بسبب جريمته، ولكنه يمضى فى غوايته، لا يتعظ: حتى يُضبط فيتهم الجنون السلبي فى داخله: اغتاله المجنون الذى حل فى (ص166) (شتان بين هذا الجنون [5])، وبين جنون عبدالله البري!)، وتواصل فتنة الدنيا إغارتها فتوقع المعين بن ساوى وتضرب له موعدا يتبعه موعد

يظهر المجنون ليتحداهما،
وهو الوحيد الذى ينجح فى
أن يواجه سحرها حتى
تختفى حذانا بلا أثر، ويدفع
الرجال ثمن تكالبهم عليها
خزيا أمام أنفسهم دون
الناس: بما ينفخهم ولا يضر
العباد.

فالبدايات واحدة، والأسماء
واحدة، والكاتب مضطر لأن

يعلن رؤيته في كل لحظة على حدة، ليكن، ولتكن دعوة لأن نحتمي بالدنيا ولو بالجنون شريطة أن نكون مسئولين عنه، قادرين على قوائمه الأخرى مرجحين إيجابياته مسيرته دون غيرها،

لكن، ما هو موقع هذه الحكاية من مسألة القتل بين مقامى العبادة والدم؟

لم أجد علاقة مباشرة، فلم أحاول أن أفتعل علاقة مصطنعة، إلا أن للقارئ أن يتساءل معنى من هذا الإلحاح الذى يلح على نجيب محفوظ حتى لا يدع حكاية دون جريمة

يذكرنا هنا بالعلاقة الوثيقة بين الجشع الدنيوى حتى التقاتل من أجل اللذة (بأشكالها: الجنس والسلطة والمال)، وبين تحريك العدوان فى الاتجاه السلبى

فكأن الكاتب يذكرنا، ولو فى أرضية الحكاية، بأن تحريك القتل فى الاتجاه السلبى ! إنما يواكب حبه الدنيا، وهو فى نفس الوقت يسخر من عقلنة

آخر مع الفضل بن خاقان (كاتم السر) ثم سليمان الزيني... حتى نور الدين (عديل شهريار وزوج دنيازاد) والسلطان نفسه ووزيره الحكيم دندان، وفى تسلسل قديم جديد تحبسهم الدنيا عراة الواحد تلو الآخر فى أصونة تعدها للبيع فى المزاد، وهنا يظهر المجنون ليتحداها، وهو الوحيد الذى ينجح فى أن يواجه سحرها حتى تختفى دخانا بلا أثر، ويدفع الرجال ثمن تكالبهم عليها خزيا أمام أنفسهم دون الناس: بما ينفعهم ولا يضر العباد.

وقد بلغت المباشرة فى هذه الحكاية مبلغا لم يكن الكاتب - فى ظني- فى حاجة إليه، فهو يصف أنيس الجليس بصفات الدنيا كما هى شائعة عند الجميع، فهى "ساحرة فاتنة"، تحب الرجال، لا يرتوى لها طمع... لا يستأثر بها أحد ولا يزهد فيها أحد (ص159)، "ثم فى موقع آخر: "إنها القدر الذى لا ينفع معه حذر ولا ينتفع لديه بمثال" (ص165)، وهذا يفسر أنه حتى نور الدين بعد ما تحقق حلمه فى زواج دنيازاد بمعجزة طيبة، وشهريار وهو فى موقفه الجديد من المراجعة والتعلم ومحاولة التكفير، ودندان والد شهرزاد الوزير الناصح، لم يسلموا من إغرائها (الدنيا)، إذ لو كانت الشر فقط، أو الجنس، أو الحس فقط، لأغى الكاتب نفسه من أن يجمع تحت لوائها كل الناس خيرين وأشرارا، مجتهدين وفجارا، واحد فقط هو الذى استطاع أن يبطل مفعولها هو المجنون، لم تسكره لأنه سكران بالحقيقة "رأسي مليء بالدنان" (ص170)، ولأول مرة لا يحدث وجهها أثره ثم مباشرة: إنها فتنة ولكن للعقلاء لا للمجانين.

وهذه مخاطرة من الكاتب حين يصور قوة الجنون بهذه الإيجابية، بعد أن صور ثورة الداخل بشقيها، حتى فمقام وسنجام (خير الداخل) لم يسمح لهما بالتدخل المباشر لصالح البشر: "لماذا لا يسمح لنا بمساعدة الضعفاء؟" (ص161) جاءهم الرد جاهزا "وهبهم الله ما هو خير منكم، العقل والروا" (ص161)، لكن العقل تفتته الدنيا، هكذا تقول هذه الحكاية، فكيف يكون الجنون هو الوقاية الوحيدة من سحر الدنيا؟

قد يمكن تفسير ذلك بأن جانبا محددًا من الجنون يجعل صاحبه زاهدا بالضرورة ولكنه للأسف إنما يحقق الزهد بما يشبه العجز لا بما هو استغناء أو رضا: اللهم إلا فى الجنون الذى هو ليس جنونا، وهذا مازق الكاتب، فالبدايات واحدة، والأسماء واحدة، والكاتب مضطر لأن يعلن رؤيته فى كل لحظة على حدة، ليكن، ولتكن دعوة لأن نحتمي بالدنيا ولو بالجنون شريطة أن نكون مسئولين عنه، قادرين على قوانينه الأخرى مرجحين إيجابياته مسيرته دون غيرها، ولكن، ما هو موقع هذه الحكاية من مسألة القتل بين مقامى العبادة والدم؟

لم أجد علاقة مباشرة، فلم أحاول أن أفتعل علاقة مصطنعة، إلا أن للقارئ أن يتساءل معنى عن هذا الإلحاح الذى يلح على نجيب محفوظ حتى لا يدع حكاية دون جريمة، فلو أن حسام الفقى -مثلا- لم يقتل يوسف الطاهر لما تغير السياق كثيرا، كما أن ما ورد فى الحوار بين حسام الفقى (القاتل) وبيومى الأرملة-كبير الشرطة-من أنها ليست سوى قصة قديمة يستدفى بها العجائز: قصة الحب والجنون والدم (ص162)، يذكرنا هنا بالعلاقة الوثيقة بين الجشع الدنيوى حتى التقاتل من أجل اللذة (بأشكالها: الجنس والسلطة والمال)، وبين تحريك العدوان فى الاتجاه السلبى، وفى موقع آخر أثناء مساءلة كبيرالشرطة لأنيس الجليس عما يفعله الرجال عندها، فتجيب أنهم "انما يتحدثون فى الشريعة والأدب يجيبها: عليك اللعنة، أذلك أفلسوا وتقاتلوا؟ (ص164)، فكأن الكاتب يذكرنا، ولو فى أرضية الحكاية، بأن تحريك القتل فى الاتجاه السلبى ! إنما يواكب حب الدنيا، وهو فى نفس الوقت يسخر من عقلنة ولفظنة من يدعى أن الحديث فى الشريعة والأدب هو ضد الإقتتال على الدنيا، بل لعله-إذا أفرغ من جوهره-هو فتنة أخرى أخبت وأضل.

وأخيرا، فإن نشاط سحلول رجل المزدادات، ومنذوب الموت كان مفرطا وهو يحوم حول الضحايا الموشكين على الافلاس، وترجيح هذا الجانب من دوره على حساب الموت الذى يمثله سطح أكثر فأكثر

من دوره، وجعلنى أوصل رفضى له، مع أنه كان يمكن أن يكون الموت هو المقابل المتحدى للنديا، أو أن يكون الترياق المفيق من سحرها وفعاليتها الإيجابية (أعنى فاعلية الوعى به) وهى أكثر من فاعلية الجنون فى هذا الصدد.

.....
.....

(ونواصل الأسبوع القادم)

ولفظنة من يدعى أن
الحديث فى الشريعة
والأدب هو ضد الإقتتال
على الدنيا، بل لعله-إذا
أفرغ من جوهره- هو فتنه
أخرى أخيبه وأضل.

- [1] يحيى الرخاوى، كتاب "الطب النفسى والغرائز (1) "غريزة الجنس" (من التكاثر إلى التواصل) و"غريزة العدوان" (من التفكير إلى الإبداع) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2022)
- [2] تحديث محدود لمحاضرة "الغريزة الجنسية" ألقيتها فى منتدى أبو شادى الروبى (1998/12/15) ضمن نشاط محاضرات لجنة الثقافة العلمية: المجلس الأعلى للثقافة.
- [3] صدر هذا النقد فى عمل لى فى "قراءات فى نجيب محفوظ" الطبعة الأولى (1990) الهيئة العامة للكتاب، والطبعة الثانية (2005) والطبعة الثالثة (2017) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى .
- [4] بدءاً من هذه الحلقة سوف ننشر حلقة واحدة كل يوم سبت بدلا مما كنا اعتدنا عليه من تخصيص السبت والأحد لنشرتين متالتين،
- حضرتى الشجاعة أن أقتر[] على من يريد أن يتابع النقد جادا أن يرجع لأصل العمل (المتن) "ليالى ألف ليلة" لنجيب محفوظ قبل أن يقرأ النقد.
- [5] لم أتطرق لموقع الجنون وأشكاله تفصيلا فى هذه القراءة، وقد أعود إليه فى دراسة مقارنة مع أعمال أخرى لمحفوظ.
- [6] جاء هذا الرد على لسان سحلول، ورفضاً لدور سحلول أصلا - دوره كما جاء فى هذا العمل- تصورت أن الأولى أن يطلق مثل هذا الرد عبدالله المجنون شخصيا.

إرتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD051122.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d8%a6-26/>

" جائزة البحث العلمى على زيور "

لشبكة العلوم النفسية العربية 2022

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2022/APNprize2022.pdf

ارتباطه ذاته صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفاييس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>